بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثالث عشر

بيروت في القسم الاخير من القرن التاسع عشر الى يومنا ١٨٦٠—١٩٢٦

ان اخبار بيروت في هذه الحقبة الاخيرة لا يمكن حصرها في صفحات قليلة وكثير منها يصعب تدوينهُ وهو يمس اشخاصاً قريبين من عهدنا تقتضي اللياقة السكوت عن اعمالهم ومن ثمَّ لا نستطيع ان نروي منها إلَّا ما ذاع وشاع

وتسهيلاً للاحتياط بتاريخ بيروت في هذه المدة نقسم بحثنا الى ثلاثة ابواب نخص الاول منها لبيروت السياسيَّة والثاني لبيروت الدينيَّة والادبيَّة والثالث لبيروت الاقتصاديَّة

الباب الاوَّل : بيروت السياسيَّة

زادت بيروت تقدُّماً ونجاحاً بعد ان نُقلت اليها دوائر اشغل الدولة العثمانيَّة في اواسط القرن التاسع عشر لسقوط عكَّا وإهمال حيفا. إلَّا انَّ احوال لبنان السياسيَّة كانت تؤثر فيها تأثيراً ظاهراً. ولمَّا منح الباب العالي سنة ١٨٥٦ باغراء الدول الاوربيَّة خطَّاً همايونيًّا لنصارى الشام لمساواتهم مع المسلمين بالحقوق ثارت ثائرة الاسلام وضمروا لمواطنيهم الشرّ. وفي تلك الاثناء سنة ١٨٥٧ عُزل رامز باشا وقدم بيروت عوضاً عنهُ خورشيد باشا الذي سعى جهدهُ في التحريش بين الاهلين مستتراً. فقام الدروز اوَّلاً ثم تبعهم المسلمون مع جند الاتراك وحصلت سنة ١٨٦٠ تلك الحوادث المؤلمة التي

حوّلت لبنان ودمشق الى مناقع دم ومجازر ابرياء

وكان الدروز تقدّموا الى ضواحي بيروت يقصدون الزحف عليها فلم تنجُ من فتكهم إلّا خوفهم متى كان يمكن فيها من ممثلي الدول ويربط في مرفأها من المراكب الاجنبية. فاندفعوا اندفاع السيل على قرى لبنان الجنوبية واعملوا في اهلها السيف وفي مبانيها النهب والنار وخورشيد باشا لا يحرّك ساكناً

ولمّا خمدت الامور بتوسّط الدولة الفرنسوية وحملة جنودها تحت قيادة الجنرال بوفور خلاص النصارى اصبحت بيروت ملجأ لبقايا الجبل ودمشق فبلغ عدد المتكوبين نحو ثلثين الفاً تنافست الارساليات الكثوليكية بمساعدتهم وارسلت فرنسة الاعانات الوافرة للتفريج عن كربتهم. ومنذ ذاك الحين استوطن كثيرون من اللبنانيين بيروت واتّسعت دائرة اشغالها

وفيها حصلت تلك المفاوضات الطويلة بين ممثلي الدول والمفوّض العثماني فؤاد باشا فلم يزل يكدُّ جبينهُ ويسهر عينهُ حتى برأ ساحة خورشيد باشا وكثيرين من الجناة ولم ينل اللبنانيّون من التعويض إلّا ما لا يُعبأ به

ثمّ تتابعت المفاوضات في اواخر السنة ١٨٦٠ الى اواسط السنة ١٨٦١ حتى اتّفقت اللجنة الدوليّة على نظام لبنان الاساسي الاوّل في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ ثمّ حوّروهُ قليلاً واجروهُ فعلاً بما خوّلوا لبنان من الاستقلال النوعي واقامة متصرّفين مسيحيّين توالى تدبيرهُ خمسين سنةً كان اوّلهم داود باشا وآخرهم اوغانس باشا الارمنيّ خلفهُ في ايام الحرب الكونيّة ثلاثة متصرّفين اتراك علي منيف بك ١٩١٥ ثمّ اسماعيل حقّي بك ١٩١٧ ثمّ مختار بك ١٩١٨

وكانت بيروت في تلك المدّة اوّلاً منوطة بولاية سوريّة التي كان مركزها دمشق فجُعلت قائمقاميّةً ضيّقة النطاق قليلة النفوذ فسكنت بذلك حركتها وخمدت تجارتها وساءت احوالها إلّا ان مركزها بقرب البحر واتّصالها باوربة وصفة اهلها وازدياد عدد الاجانب في ربوعها اضطرّ الدولة التركيّة ان ترخي من خناقها فجعلتها متصرفيّة سنة ١٨٦٤. والحقت بها قائمقاميّة صور وصيدا ومرجعيون وتولّى فيها متصرّفون يتبعهم ولاة سوريّة مدّة ويبدلونهم بعد زمن قليل كالوف عادة الاتراك. وبقي الامر على ذلك الى السنة ١٨٨٨

وفيها فصل السلطان عبد الحميد بيروت عن ولاية دمشق فاصبحت ولايةً منفردة أنيط بها متصرفيات اللاذقيَّة وطرابلس وعكا ونابلس . فكان اوَّل والٍ على بيروت سنة ١٨٨٨ عزيز باشا خلفهُ سنة ١٨٩٢ خليل خالد بك ثمَّ نصوحي بك ١٨٩٤ ثمَّ رشيد بك ١٨٩٧ ثم خليل باشا ١٩٠٤ ثم ناظم باشا ١٩٠٨ ثم حازم بك وادهم بك وبكر سامي الذي في ايَّامهِ انتشبت الحرب الكونيَّة فخلفهُ عزمي بك ثم اسمعيل حقي بك الى نهاية الحرب وسقوط الحكومة التركيَّة سنة ١٩١٨

وفي هذه المدَّة حصلت بيروت على الامان والطمأنينة . إلَّا انَّ الاصلاحات التي وعدت بها الدولة بقيت مواعيد عرقوبيَّة لم يُصب منها نصيباً اهل الشام عموماً ولاسيما النصارى . ولمَّا أُعلن بالدستور اوَّل مرَّة سنة ١٨٧٦ ارسلت بيروت الى الاستانة نائبين عادا بعد زمن قليل فارغين لاستبداد السلطان عبد الحميد والغاء مجلس المبعوثان وثبات الامور على حالها الموجَّة فتش الصدور لمظالم العمَّال ولتناقم الضرائب وغلبة الرشوة

ولمَّا عاد الدستور ثانيةً وفاز بالسياسة الحميديَّة ثمَّ بصاحبها عبد الحميد عمَّ الفرح اهل بيروت واستبشروا به خيرًا وتصافح الشيخ والقسيس اشارةً لتأليف القلوب ونظموا القصائد العامرة في إطراء الدستور إلَّا انَّ فرحهم لم يثبت زمناً طويلًا اذ قامت جمعيَّة الاتحاد والترقي واستبدَّت بالحكم لغاياتها السرِّيَّة فكانت وطأتها على الناس اثقل من الوطأة الحميديَّة على كلِّ من يتعرَّض لاحكامها . واذ عارضتها جماعة الحزب العربي الوطني نقمت على ذويه واوقعت البعض منهم ثمَّ اجتمعوا في باريس وعقدوا فيها مؤتمرًا فاحتفظت على اسمائهم لتفتك بهم عند سنوح الفرصة

وفي السنة ١٩١٢ انتشبت الحرب بين ايطالية وتركيَّة بسبب طرابلس الغرب فقدمت دارعتان ايطاليَّتان الى بيروت واطلقتا القنابل على طرَّادين تركيَّين عون الله وانقره كانا راسيين في المرفأ وافرقتاهما فحصل بذلك هيجان بين المسلمين فهجموا على مستودع الرديف ونهبوا اسلحتهُ وحاولوا مقاتلة الاجانب وكاد يتفاقم الشرّ لولا اتخاذ الوالي حازم بك الوسائل الفعَّالة لمنع الاعتداء وكبح الثورة

وفي اواخر شهر تموز ١٩١٤ وقعت تلك الحرب الكونيَّة العوان التي قلبت العالم

ظهراً لبطن وكانت تركيَّة تستعدّ لتخوض غمرتها ريثما تجمع قواها . وانتهزت فرصة انشغال الدول بالحرب وتنشيط دولة المانية سرّاً لاعمالها فأتت ما كان للاجانب من الامتيازات القديمة التي نالوها بمعاهدات سابقة عُقدت بينها وبين الباب العالي فحصلت وتتنذ مظاهرات مهيجة كان من شأنها لو تُسعر نار اتفتن بين المسلمين والنصارى

وما لبثت ان دخلت تركيَّة ساحة الحرب في جانب الدول المركزيَّة في اوائل شهر تشرين الثاني ١٩١٤ فأُصيبت بيروت بسببها بآفات متعدّدة اذ أُبعد الاجانب وأُقفلت القنصليَّات وانقطعت المواصلات التجاريَّة مع اوربَّة ومصر وغلت الحاجيَّات وبطلت عدَّة صنائع فبقي أُلوف من الناس يتضوَّرون جوعاً ويسيق كثيرون الى الحرب ممَّن لم يمكنهم ان يفدوا نفوسهم بالمال بل وقعت التهم في قوم من الاعيان والادباء فقُتل البعض شنقاً ونُفي البعض الى الداخليَّة وكان الحلّ والربط بيد جمال باشا يتصرَّف بحكمه كيف يشاء ويُساعده في تنفيذ اموره مجلس عرفيّ اقامهُ في عاليه

وكان والي بيروت عزمي بك اتى خلفاً لسامي بكر فجرى على مثال جمال باشا وتتبَّع كلّ من كان يراهُ مخالفاً لسياسة الدولة او لنقض رسومها فيعاقبهُ اشدَّ المعاقبة لا يراعي في ذلك وجيهاً او رئيسَ طائفة . وحُرمت الناشئة نعمة التعليم ما خلا بعض المدارس الابتدائيَّة او التركيَّة الصيغة

وفي اوائل تشرين الاوَّل اذ حلَّت الحرب الكونيَّة اوزارها وكان الظفر للدول المتحالفة برح الاتراك بيروت فأسرع الامير فيصل لبسط سلطة عربيَّة على كل سورية بمؤازرة الدولة الانكليزيَّة فدخل بيروت وحاول ان يحكم عليها . ولم يلبث ذاك السحاب أن انقشع وجُعل الانتداب على بلاد الشام في عهدة فرنسة . وكان القاضي على الحكم العربي واقعة خان ميسلون في ٢٠ تموز ١٩٢٠

وكان الجنرال غورو اوَّل مفوَّض سامي على سوريَّة فاجابةً الى رغبة السكَّان والى طلب غبطة البطريرك الماروني الياس الحويك الذي تجشَّم السفر الى باريس لهذه الغاية اعلن في غرَّة ايلول سنة ١٩٢٠ استقلال لبنان الكبير مع مدنهِ الساحليَّة شمالاً وبلاد البقاع جنوباً وجُعلت بيروت عاصمتهُ . فعاد الى البلاد هدوءها وسلامها . وخلف الجنرال غورو جنرالٌ آخر يشبههُ فضلاً وشهامةً قرَّر اعمالهُ وكمَّلها واكتسب ثقة اهل الوطن عموماً على اختلاف اديانهم ونزعاتهم فكان يوم رجوعهِ الى فرنسة يوماً

مشهوداً اعرب فيه جميع الوطنيين عن شكرهم لشخصه وأثنوا على سائر اعماله متمنين ان يعود اليهم آسفين على فراقه

وزاد أسفهم اذ رأوا خطة خلفه الجنرال سراي الذي أتى البلاد وهو يجهل احوالها واستبدّ برأيه في تدبير دولة لبنان وغيّر حاكمها وفضّ مجلسها فلم تلبث ان وقعت فيها القلاقل والاضطرابات فانتشرت خصوصاً في دمشق وحوران فحدثت تلك الثورات والفتن التي لم تهدأ تماماً حتى بعد استدعاء الجنرال سراي ومجيء خلفه السيو هنري دي جوفنل الذي جرى في اموره في هذه السنة بتعقل وحزم

وكان خاتمة مآثره نحو لبنان الكبير انّهُ فوّض الى مجلسه أن يتّخذ لهُ دستوراً ويختار لتدبير اموره هيئة حاكمة فكان اختيارهم للهيئة الجمهوريّة يشترع فيها مجلس مندوبين ومجلس شيوخ ويتألفا رئيس يُختار لثلث سنين فتمّ ذلك في عيد العنصرة من السنة الحالية ١٩٢٦ وأعلن بالجمهورية اللبنانيّة يوم الاحد ٢٣ ايار وبرئيسها يوم الاربعاء ٢٦ منهُ مع بناء بيروت كعاصمة الجمهوريّة

وما لا شكّ فيه انّ الانتداب الفرنساوي أدّى للبلاد خدماً جليلة مادّية وادبية واقتصاديّة في هذه السنين الاخيرة لا يقوى اللسان على شكرها وإن وقع من بعض افراده اغلاط تُغتفر في جانب الكثير من النعم التي اسبغتها الدولة الفرنسويّة على سوريّة عموماً وعلى لبنان وعاصمته خصوصاً (الهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Gay (Jules): Les Papes du XI^e Siècle et la Chrétienté: *Bibl. de l'enseignement de l'hist. ecclésiastique, Paris, Gabalda, éditeur*, 1926, *Prix* 20 *f*

البابوات والنصرانية في القرن الحادي عشر

هذه الحلقة هي العشرون من سلسلة تآليف تاريخيّة كنسيّة يقوم بها نخبة من الكتبة يخطّون كلّ طور من اطوار الكنيسة بمجلّد خاصّ حتى أصبح مجموعها بمثابة